للإعارة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك عبد العزيز بجدة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

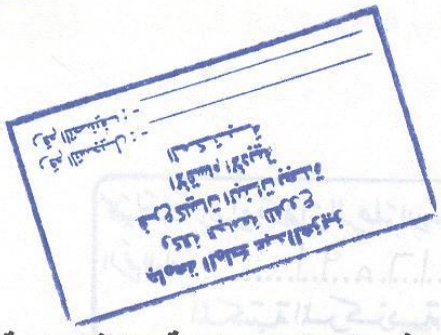

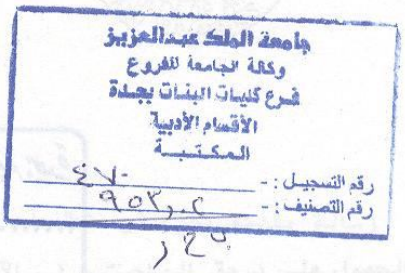

أثر الأسرة السفيانية ودورها في الحياة السياسية والاقتصادية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين

إعداد

زكية بلال صالح بحراوي

إشراف

د. منى حسن محمود

بحث مقدم كجزء لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التاريخ

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

المُستخلص

أثر الأسـرة السفيـانيـة ودورها في الحياة السياسية والاقتصادية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين

ينتسب الهاشميون والأمويون إلى جد واحد هو عبد مناف بن قُصيّ. وكان بنو عبد مناف يتمتعون بمركز الزعامة في مكة لايناهضهم فيها أحد من بطون قريش. وكانوا يداً واحدة حتى جاء الإسلام، فوقف معظم الأمويين وعلى رأسهم أبو سفيان الذي آلت إليه قيادة القوافل التجارية والحربية قبل الإسلام، يدافعون عن مصالحهم التجارية، والسياسية أمام قبائل العرب والفرس والروم؛ إذ كانوا على صلات طيبة بكل هذه الدول ثم هداهم الله إلى الإسلام يوم فتح مكة فانخرطوا فيه يذودون عنه ويشاركون في فتوحاته. وكان لأبي سفيان سياسة خاصة اتبعها قبل الإسلام في سبيل المحافظة على مصالح أسرته الاقتصادية والسياسية، وهي الحياد وعدم المغالاة في العداء.

وكان ليزيد بن أبي سفيان دور بارز في فتوحات الشام، فكان مثالاً للمجاهد المسلم، إذ قام بمهمته على أحسن وجه، واستمر في جهاده إلى أن أصبح والياً على دمشق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ثم تولى راية الجهاد من بعده أخوه معاوية الذي أصبح والياً على بلاد الشام، فأكمل فتحها له في عهد الخليفة عثمان بن عفان وقد كان له دوراً بارزاً كوال، فتميز عهده بالصدام مع البيزنطيين، واهتم بالتنظيم الاقتصادي والإداري والعسكري في بلاد الشام مما مكن هذه الولاية من المقاومة والصمود في وجه البيزنطيين، وكان جندياً من جنود الثغر المدافعين عن الإسلام، فتمكن من وضع أسس سياسته في بلاد الشام منذ أن كان والياً عليها، حتى أصبح خليفة وأسس الدولة الأموية.

أما عن الجانب الاقتصادي، فقد لعبت هذه الأسرة دوراً هاماً في إقليم الحجاز؛ فكانت لها علاقات اقتصادية وثيقة بكل من بيزنطة وبلاد فارس والحبشة ومصر، حتى أصبح المجتمع المكي من أثرى المجتمعات، وبعد فتح بلاد الشام اهتمت بالتنظيمات المالية، وإنعاش الحياة الاقتصادية فيها.

فهذه الأسرة هي التي كانت أساساً لظهور بني أمية، وقيام دولتهم في بلاد الشام؛ لذا فقد وجب تسليط الأضواء على جوانبها السياسية والاقتصادية لمعرفة هذا الدور.

د. ناجية أحمد محمود

ABSTRACT

The Influence of the Sufiani Family in the Political and Economic Life during the Period of Prophet Muhammad and the Four Caliphs.

All the Hashemites and the Ummaides are related to one grandfather; Abd-Manaf Ibn Qusay. His sons were in an indisputable leading position in Makkah. They had a strong brotherly relationship up to the date of the emergence of Islam. Most of the Ummaides, led by Abu- Sufyan as there leader just before Islam, were interested to defend their strong situation ámongst the Arab tribes and the Persian and Roman Empires. Since they were guided to Islam at " Fath Makkah", then they played a great role in defending it and participated in all the stages of Islamic defusion.

Abu- Sufyan's policy before Islam tends to maintain the economic and political position of his family by adopting a neutral and policy towards their alliances, as Persia, Byzantine state, Abyssinia and Egypt. This policy was inherited by his sons and became more efficient by their experience in Al-Sham conquest mainly.

Consequently, his son Yazeed had played a remarkable role in Fath Al- Sham and as a Wali of Damascus at Omar Ibn Al- Khattab's reign. Yazeed was succeeded by his brother Mu^{c}awyah who ruled Al- Sham' region after he accomplished its conquest and became a sole ruler there at the time of Othman Ibn- Affan, then as a caliph he himself.

Mu^{c}awyah's contributions were mainly; the confrontations with the Roman Empire, the establishment of the Islamic marine, the organization of administrative and economic affairs. His state had flourished and survived for 91 years, it expanded to Morocco and Andalusia in the west.

Finally, this family is considered as the origin of Beni Umayiah's State in Al-Sham. And it is necessary to evaluate its political and economic contributions.

د. ناصر أحمد محمود

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المُستخلص	أ
شكر وتقدير	ج
المقـدمة	د
التمهـيد : الجذور التاريخية للأسرة السفيانية قبل الإسلام	١-١١
الفصـل الأول : دور أبي سفيان وأسرته في الحياة السياسية والاقتصادية قبيل الإسلام	١٢-٣١
١- الدور السياسي	١٥
٢- النشاط الاقتصادي	١٩
أ- علاقة مكة بأهم مدن الحجاز	
- علاقتها بالطائف	٢٤
- علاقتها بيثرب	٢٥
ب - علاقات مكة الخارجية	٢٦
- علاقة مكة ببلاد اليمن	٢٧
- علاقة مكة ببلاد الحبشة	٢٧
- علاقة مكة بالحيرة وبلاد فارس	٢٨
- علاقة مكة ببلاد الشام	٢٩
الفصـل الثانـي : موقف أبي سفيان وأسرته من الدعوة الإسلامية حتى فتح مكة عام ٨هـ/٦٢٩م	٣٢-٦٥
١- موقف أبي سفيان وأسرته من الدعوة الإسلامية	٣٥
- الدولة الإسلامية في المدينة	٤٢

- الغزوات والسرايا ---------- ٤٣
- غزوة بدر الكبرى (٢هـ/٦٢٣م)---------- ٤٤
- غزوة أحد (٣هـ/٦٢٤م) ---------- ٤٧
- غزوة الأحزاب والخندق (٥هـ/٦٢٦م) ---------- ٥٠
٢- إسلام أبي سفيان وأهله ودورهم في الحياة الإسلامية ---------- ٥١
- صلح الحديبية (٦هـ/٦٢٧م) ---------- ٥١
- فتح مكة (٨هـ/٦٢٩م) ---------- ٥٨

الفصل الثالث: دور أسرة أبي سفيان في الحياة السياسية في بلاد الشام (١١-٣٥هـ)(٦٣٢-٦٥٦م) ٦٦-٨٨

١- دور يزيد بن أبي سفيان في فتح بلاد الشام ---------- ٦٧
- فتح دمشق (١٤هـ/٦٣٥م) ---------- ٧٢
- معركة اليرموك (١٥هـ/٦٣٦م) ---------- ٧٥
- فتح بيت المقدس واستكمال فتح المدن الساحلية (١٦هـ/٦٣٧م) ---- ٧٩
٢- دور معاوية بن أبي سفيان في استكمال فتح بلاد الشام ---------- ٨٣
- فتح قيسارية (١٩هـ/٦٤٠م) ---------- ٨٤
- دور معاوية في فتح طرابلس (٢٤هـ/٦٤٤م) ---------- ٨٦

الفصل الرابع: ولاية معاوية بن أبي سفيان لبلاد الشام (١٨-٤٠هـ) (٦٣٩-٦٦١م) ٨٩-١٤١

١- سياسته الداخلية ---------- ٩٦
- دور معاوية في تنشيط اقتصاديات بلاد الشام ---------- ١٠٢
- الإقطاعات والملكيات الزراعية ---------- ١٠٤

- الصناعة ---------- ١٠٦
- النشاط التجاري ---------- ١٠٨
١- التجارة الداخلية ---------- ١٠٨
٢- التجارة الخارجية ---------- ١٠٩
- موارد بيت المال في ولاية معاوية على الشام ---------- ١١٢
- المصروفات ---------- ١١٤
- الثغور والحصون ---------- ١١٦
- الربُط ---------- ١٢٠
- نواة البحرية الإسلامية ---------- ١٢١
٢- سياسته الخارجية ----------
- دور معاوية في فتح جزيرة قبرص (٢٨هـ و ٣٣هـ)/(٦٤٨م و ٦٥٣م) ---١٢٣
- محاولة فتح جزيرة رودوس حوالي (٣٣هـ/٦٥٣م) ---------- ١٢٦
- محاولة فتح جزيرة صقلية حوالي (٣٣هـ/٦٥٣م) ---------- ١٢٧
- فتح جزيرة أرواد حوالي (٣٣هـ/٦٥٣م) ---------- ١٢٧
- محاولة فتح القسطنطينية حوالي (٣٣هـ/٦٥٣م) ---------- ١٢٨
- معركة ذات الصواري حوالي (٣٤هـ/٦٥٤م) ---------- ١٢٨
- دور معاوية في الحياة السياسية في نهاية عصر الخلفاء الراشدين ١٣٠

الخاتمة ---------- ١٤٢

ثبت المصادر والمراجع ---------- ١٤٦

الملاحق ---------- ١٦١

الخاتمـــة

ينتسب الهاشميون والأمويون إلى جد واحد، هو عبد منـاف بـن قُصـيّ بـن كـلاب، وترجع زعامة بني عبد مناف ورئاستُهم على مكة إلى عهد جدهم قُصيّ، الذي وحَّد قبيلـة قريش وتولى أمر مكة، ونظَّـم أمورهـا الداخليـة والخارجيـة؛ لذلـك ذاع صيتهـا بيـن قبـائل العرب وأخذت مكة تسير في طور الحضـارة والتقدم منذ ذلـك الوقت. وأصبـح بنـو عبـد مناف بن قُصيّ يتمتعون بمركز الزعامـة لايناهضهم فيهـا أحـد مـن بطـون قريـش بفضـل تنظيمات جدهم قُصيّ. وتعاون أبناء عبد مناف (هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفـل) علـى النهوض بأمور مكة كلها، وخاصة في الناحيتين الدينية والتجارية. وكان هاشم هو أول من سنّ لقريش رحلة الشتاء والصيف، والتي ذُكرت في القرآن الكريم. وازدهرت التجارة فـي عهده وخاصة في المجال الخارجي؛ بسبب عقده الإيلاف هو وإخوانـه مـع القبـائل العربيـة ومـع الـدول المجـاورة كالشـام والعـراق واليمـن والحبشـة؛ فـأدى ذلـك إلـى رواج التجـارة وانتشار الأمن في الطُرق التجارية.

كما اتضح أن العلاقة كانت قوية بين الأخوين هاشم وعبد شمس وكانـا يداً واحـدةً في إدارة شؤون مكة وظل. هذا التعاون الوثيق بين أبناء هاشـم وعبـد شـمس حتـى ظهـور الإسلام، مما يؤكد عدم صحة ماذهب إليه بعض المؤرخين من منافرة أُمية لعمه هاشم، فقد كان أُمية في ذلك الوقت يبلغ من العمر حوالي عشر سنوات، وكان والده عبد شمس وعمه هاشم على علاقة طيبة، ويتعاونان في تدبير أمور مكة كلّها. وأما هاشم فقد توفى قبل أخيه عبد شمس وكان يبلغ من العمر حوالي خمسة وعشرين عاماً.

كما يتبين أن السيادة في مكـة كـانت فـي يـد سـادات قريـش عامـة، ومجلـس الملأ خاصة (دار الندوة) ولم تكن حكراً على شخص واحد، بل كانت متفرقة بين سادات قريـش يشتركون جميعاً في دفع السياسة المكيَّة. وكـانت شـخصية أبـي سـفيان تؤهلـه للقيـادة؛ لمـا اشتهر به من قوة وذكاء وخبرة بمعرفة الطُرق، وقيـادة القوافـل التجاريـة التـي ورثهـا مـن أبيه حرب، إذ كانت القيادة الحربية والتجارية وراثية في أسـرة بنـي أُميـة، وهـو آخـر مـن منهم حتى ظهور الإسلام. وقد شارك أبو سفيان في صدر شبابه في أحداث مكة، واكتسب

خبرة سياسية وحربية من أبيه ومن سادة قريش في ذلك الوقت، وعاصر الأحداث والحروب التي قامت في مكة، ومن أشهرها حروب الفجار.

وقد ظلت العلاقة قوية بين أبي سفيان وأثرياء الطائف حتى ظهور الإسلام. كما توثقت العلاقة السياسية والاقتصادية بين مكة والطائف، وتصاهر كثير من رؤساء قريش مع قبيلة هوازن في سبيل تدعيم العلاقات بينهما، كذلك كانت العلاقة وثيقة بين مكة ويثرب التي تقوم بدور فعّال في تنشيط التجارة المكية والمشاركة في أسواق العرب (مثل سوق عكاظ ومجنة وذي المجاز).

وقد توطدت علاقات مكة بالبلاد المجاورة، وساعد على ذلك نشاط التجارة بينها وبين كثير من هذه البلاد، فأصبحت طريقاً تجارية هامة تربط بين الدول، خاصة بعد إغلاق طريق التجارة المار بالعراق إلى الشام بسبب النزاع بين الفرس والروم، ومالحق الممالك العربية على أطراف العراق والشام من تدهور، نتيجة لاشتراك الغساسنة والفرس إلى جانب الروم، وتغير سياسة الدولتين تجاه المملكتين العربيتين، إلى جانب اضمحلال الحيرة وعجزها عن حماية التجارة الفارسية في بلاد العرب إلا عن طريق الإتاوات التي تدفعها للقبائل العربية مقابل حماية تجارتها، وغير ذلك من أمور هيأت لمكة أن تقوم بدور الوسيط المحايد بين المتنازعين، إذ كانت تنقل تجارة أهل اليمن وشبه الجزيرة العربية إلى أسواق الشام وتنقل تجارة بلاد الشام وحوض البحر المتوسط إلى الحجاز ونجد واليمن، وقد درّ عليها ذلك أرباحاً طائلة مما جعلها من أغنى مدن الحجاز عند ظهور الإسلام، وقد ساعدها على القيام بهذا الدور تنظيمها واستقرارها على يد القرشيين، وقد حظيت بمكانة عظيمة بين العرب في شبه الجزيرة العربية.

قامت بين مكة وبلاد فارس والروم واليمن والحبشة علاقات طيبة، وكان لأبي سفيان دور كبير في توطيدها؛ إذ وضع لأسرته في الجاهلية سياسة خاصة تقوم على الحياد وعدم المغالاة في العداء. إذ كانت تربطه برؤساء بعض هذه الدول علاقة صداقة وودّ، كما كان على معرفة شخصية بكسرى حاكم الفرس؛ مما هيأ لتنشيط تجارة قريش مع هذه البلاد. فكان أثرياء قريش وتجارها يعرفون أهمية سياسة المحايدة مع دولتي الفرس والروم، ويعلمون أن مصلحتهم تستلزم هذه السياسة، لذا التزموا بها في تعاملهم مع هاتين الدولتين مما عاد عليهم بفوائد عظيمة، فقد خالطوا هذه الأقوام وتعرفوا على حياتهم وأحوالهم السياسية والاجتماعية والأدبية.

وعندما ظهرت الدعوة الإسلامية في مكة قضت على الرئاسة العامة فكان يحكمها رؤساء العشائر وكانوا حريصين على مبدأ التكافؤ وقد وقفت الأسرة السفيانية موقفاً معارضاً من الدعوة كغيرها من الأُسر، وأول المعارضين جهلاء قريش وعلى رأسهم أبو جهل وأُمية بن خلف وعقبة ابن معيط والنضر بن الحارث وغيرهم، وكان أبو سفيان كغيره من جهلاء قريش، يقف معارضاً للدعوة، إلا أنه لم يكن من زعماء المعارضة، وكانت علاقته طيبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

أثرت هجرة المسلمين إلى يثرب على تجارة قريش وعلى اهتزاز مكانة مكة التجارية، حيث أصبحت هذه المدينة بعد انتقال المسلمين إليها تنافس مكة في مجال التجارة، وهذا ساعد يثرب أن تتبوأ هذه المكانة التي مكنتها من تهديد الطرق التجارية وتهديد اقتصاد مكة، واستطاع المسلمون كسب صداقة كثير من القبائل العربية خاصة تلك التي تستقر في طرق التجارة، مما جعل تجارتهم آمنة، فضمنوا سلامة قوافلهم.

وقد ظهر أبو سفيان كزعيم سياسي بعد غزوة بدر الكبرى، خاصة بعد مقتل كبار زعماء قريش، واتضح دوره القيادي، حيث أصبح يمثل أهل مكة ويتزعمهم محاولاً تحقيق رغباتهم في ظل المحافظة على عاداتهم الموروثة، وخاصة عصبياتهم القبلية التي ظلوا متمسكين بها.

أسلم أبو سفيان وأبناؤه في فتح مكة وحَسُن إسلامهم وولاه الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الأعمال وعيّنه على نجران وتولى صدقات جرش وخولان في بلاد اليمن، كما عين معاوية كاتباً للوحي. وتألق نجم يزيد ولعب دوراً بارزاً في فتح بلاد الشام وظهرت جدارته في عهد الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، فعينه الخليفة عمر على فلسطين والأردن ثم دمشق، وبعد وفاته خلفه أخوه معاوية في استكمال فتح بلاد الشام فأثبت كفاءته حتى أمّره الخليفة عمر بن الخطاب على كل ماكان بيد أخيه. وجمع له الخليفة عثمان بن عفان الشام والجزيرة وثغورهما. ونجح في كسب محبة أهل الشام وإدارة البلاد وقد انعكس أثر سياسته الوسطية والحيادية على البلاد فازدهرت ولاية الشام في عهده، وركّز معاوية على تحصين الحدود الشمالية ليقيها من خطر الدولة البيزنطية.

وقد اتضح دور معاوية ورغبته في وضع نواة لأسطول إسلامي منذ عهد الخليفة عمر الذي رفض مطلبه في ركوب البحر خوفاً على أرواح المسلمين وسمح له بتعمير منطقة الساحل، وأطلق يده في إصلاحها بما يراه كفيلاً بسلامتها، كما سمح له بإقامة القواعد العسكرية فيها؛ لمجابهة خطر العدو البيزنطي.

وقد سار الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه على نهج الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمنع المسلمين من ركوب البحر فلجأ معاوية إلى تشجيع الناس على النزوح إلى المناطق الساحلية ليزيل من نفوسهم الرهبة والخوف من ركوب البحر، ثم عاد فألحّ بطلبه على الخليفة عثمان وأقنعه بضرورة الحرب فوافقه على ألا يكره أحداً. وبذلك يكون معاوية أول من وضع نواة البحرية الإسلامية من أجل نشر الدين الإسلامي في جزر البحر المتوسط. ليكفل أمن الدولة الإسلامية.

وقد ظهر التعاون الوثيق بين مصر والشام، خاصة في معركة ذات الصواري وتمثل هذا التعاون في بناء الأسطول الإسلامي الذي لعب دوراً كبيراً في هذه المعركة. ثم اشتعلت الثورات بعد ذلك واشتد أوارها حتى انتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتولىّ عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه الخلافة، فحاول القضاء على هذه الثورات والفتن الداخلية، لكنها انتهت بمقتله على يد الخوارج عام ٤٠هـ/٦٦١م، فتنازل الحسن بن عليّ عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان عام ٤١هـ/٦٦٢م حقناً لدماء المسلمين.